سُورَةُ الرُّومِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ١٠].

القراءات: «عاقبة» قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب برفع التاء، وقرأ الباقون بنصب التاء.

التوجيه: قال الشنقيطي: قرأ هذا الحرف نافع وابن كثير وأبو عمرو «كان عاقبة» بضم التاء اسم كان، وخبرها «السُّوْأَى» وقرأه بن عامر وعاصم وحمزة والكسائي «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ» بفتح التاء خبر كان قدم على اسمها على حد قوله في «الخلاصة»:

وفي جميعها توسط الخبر أجز .....

وعلى هذه القراءة في «السَّوأَى» اسم «كان» وإنما جرد الفعل من التاء مع أن «السُّوأَى» مؤنثة لأمرين:

الأول- أنّ تأنيثها غير حقيقي **والثاني-** الفصل بينها وبين الفعل كما هو معلوم، وأما على قراءة ضمّ التاء، فوجه تجريد الفعل من التاء هو كون تأنيث العاقبة غير حقيقي، فقط، وأظهر الأقوال في معنى الآية عندي، أنّ المعنى على قراءة ضم التاء كانت عاقبة المسيئين السوأى، وهي تأنيث الأسوأ، بمعنى الذي هو أكثر سوءًا وهي النار، أعاذنا الله وإخواننا المسلمين منها، وأما على قراءة فتح التاء، فالمعنى كانت السوأى عاقبة الذين أساءوا، ومعناه واضح مما تقدم، وأنّ معنى قوله «أن كَذَّبُوا»، أي كانت عاقبتهم أسوأ العقوبات لأجل أن كذبوا.

وهذا المعنى تدل عليه آيات كثيرة توضح أن الكفر والتكذيب قد يؤدي شؤمه إلى شقاء صاحبه، وسوء عاقبته، والعياذ بالله، كقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾

[الصَّفّ: ٥]، وقوله ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البَقَرَة: ١٠]، وقوله ﴿بَل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ﴾ [النِّسَاء: ١٥٥-١٥٦].

وكون التكذيب عاقبتهم مع أنهم لم يخلوا عنه، إما باعتبار استمراره، أو باعتبار أنه عبارة عن الطبع، وجوز أيضًا أن يكون أن كذبوا بدلًا من «السوأى» الواقع اسمًا، لكان أو عطف بيان لها، أو خبر مبتدأ محذوف، أي هي أن كذبوا، وأن تكون «أن» تفسيرية بمعنى، أي والمفسر إما أساؤوا، أو «السوأى»؛ فإنّ الإساءة تكون قولية، كما تكون فعلية، وما قبلها مضمن معنى القول دون حروفه، ويظهر ذلك التضمن، بالتفسير، وإذا جاز ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾، فهذا أجوز، فليس هذا الوجه متكلفًا خلافًا لأبي حيان، وجوز في قراءة الحرمين، وأبي عمرو أنْ تكون «السوأى» صلة الفعل «وأن كذبوا» تابعًا له، أو خبر مبتدأ محذوف، أو على تقدير حرف التعليل، وخبر كان محذوفًا تقديره وخيمة ونحوه، وتعقب ذلك في البحر؛ فقال: هو فهم أعجمي، لأن الكلام مستقل في غاية الحسن، بلا حذف، وقد تُكلِّف له محذوف لا يدل عليه دليل، وأصحابنا لا يجيزون حذف خبر كان.

وقال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب «عاقبة» بالرفع على أصل الترتيب بين اسم «كان» وخبرها، وقرأه البقية بالنصب على أنه خبر «كان» مقدم على اسمها وهو استعمال كثير، والفصل بين «كان» ومرفوعها بالخبر سوغ حذف تاء التانيث من فعل «كان» و «أن كذبوا» تعليل لكون عاقبتهم السوأى، بحذف اللام مع «أن»، وآيات الله: هي القرآن والمعجزات.

وقال الألوسي: وقرأ الحرميان وأبو عمرو «عاقبة» بالرفع على أنه اسم كان و «السوأى»، بالنصب على الخبرية «أن كذبوا بآيات الله» علة للحكم المذكور، أي لأن أو بأن كذبوا، وهو في الحقيقة مبين لما أشعر به وضع الموصول موضع الضمير لأنه مجمل. وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ عطف على «كذبوا» داخل معه في حكم العلِّيَّة وإيراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره، وتجدده، وجوز أن يكون «السوأى»

مفعولًا مطلقًا لأساءوا من غير لفظه، أو مفعولًا به له، لأن أساءوا بمعنى اقترفوا، واكتسبوا، والسوأى، بمعنى الخطيئة، لأنه صفة، أو مصدره مؤول بها، وكونه صفةَ مصدر «أساؤوا» من لفظه، أي السوأى بعيدٌ لفظًا مستدركٌ معنىً «وأن كذبوا» اسم كان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الروم: ١١]

القراءات: قرأ أبو عمرو وشعبة «يُرْجَعُونَ»، وقرأ روح «يَرْجِعُون»، وقرأ رويس «تَرْجِعُون»، وقرأ الباقون «تُرْجَعُونَ».

التوجيه: قرئ بالتاء على أنّ الخطاب للخلق جميعًا، وقرئ بالياء إعراضًا عن مخاطبة المشركين الذين أساءوا السوأى، وكذبوا بآيات الله، وقراءة البناء للمفعول: «يُرجعون»، «تُرجعون» بضم الياء والتاء للدلالة على أنّهم رغمًا عنهم يبعثون لا يملكون امتناعًا، فالله يميتهم ثمّ يبعثهم جميعًا، وقراءة البناء للفاعل بفتح الياء والتاء، للدلالة على استسلامهم لأمر الله بالبعث وعدم محاولتهم للهرب، أو للامتناع.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].

القراءات: «للعالمين» قرأ حفص بكسر اللام التي قبل الميم على أنها جمع «عالم»، وقرأ الباقون بفتحها.

التوجيه: قرئ بفتح اللام وكسرها، وهما قراءتان متواترتان متكاملتان، وقد استشهد بعضهم بقوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، لقراءة كسر اللام، وإن قصد صحتها، فهذا ثابتٌ لا يحتاج إلى استدلال، إذ هي قراءة متواترة، وإن قصد ترجيحها على الأخرى، ففي ذلك نظر؛ لأنّ آية العنكبوت واردة في الأمثال ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وآية الروم هذه واردة في آيات ودلائل ربوبية الله، وليس فهم أو تبين هذه الآيات قاصرًا على

العالِمين، بل وضوحها ودلائلها على ربوبية الله ظاهر لكل مخلوق «للعالَمين»، وأمَّا قراءة كسر اللام، فتفيد أنّ أعظم الناس انتفاعًا بهذه الآيات هم العلماء، إذا قلنا المقصود من قوله «العالمين» بكسر اللام –العلماء– وإذا قلنا المقصود كل من علم بربوبية الله وإلهيته وآمن بذلك، فالمعنى المراد: وما ينتفع بهذه الآيات إلّا من آمن بالله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ [الروم: ٢٤]

القراءات: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب «ويُنْزِل»، وقرأ الباقون «ويُنزِّل».

التوجيه: قرئ «ينزِّل» بكسر الزاي مشددة للدلالة على تدرج نزول المطر، فتحيا الأرض بإذن ربها مع نزوله شيئًا فشيئًا أو للدلالة على كثرة ما ينزل من مطرٍ في مشارق الأرض ومغاربها، وقرئ «ينزل» بتخفيف الزاي للدلالة على أصل إنزال المطر أو للدلالة على أن المطر قد ينزل على مكانٍ دفعةً واحدة، فتحيا الأرض بإذن الله، والله أعلم.

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [الروم: ٥٢].

القراءات: «ولا يسمع الصمّ الدعاء» قرأ ابن كثير بالياء المفتوحة وفتح الميم ورفع الصمّ وقرأ الباقون بالتاء المضمومة وكسر الميم ونصب الصمّ.

التوجيه: قرئ: «ولا تُسمع الصمَّ الدعاءَ» وقرئ «ولا يسمع الصمُّ الدعاءَ»، فكلمة «الدعاء» منصوبة في القراءة الأولى على أنها مفعول به، وفي القراءة الثانية على أنها مفعول به ثان، والقراءتان متكاملتان لأنّ قراءة «لا تُسمع» ربما فهم منها أنّ الرسول ﷺ لا يُسمع الصمَّ، ولكن غيره من الدعاة قد يسمعونهم، فقراءة «لا يسمع» بالياء تدل على أنهم أصلًا لا يسمعون الدعوة إلى الخير – أي سماع الاستجابة والعمل – وهل من

لايستجيب لدعوة سيد المرسلين ﷺ يستجيب لدعوة غيره من الدعاة إلا أن يشاء الله؟

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم: ٣٦]

القراءات: «يقنطون» قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف العاشر، بكسر النون، والباقون بفتحها.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ بفتح النون على أنه مضارع قنط من باب حسب، وقرئ بكسر النون على أنه مضارع قنط، من باب ضرب، وهما لغتان فيه.

قلتُ: قرئ بكسر النون وفتحها، وهما أخف الحركات، ووجه ذلك بيان لوم وذمّ أيّ قنوطٍ من رحمة الله سواءٌ قلَّ جدًّا كما تدل عليه قراءة الفتح، لأنّ الفتحة هي أخف الحركات، أو قلّ بدرجةٍ ما كما تدل عليه قراءة الكسر، لأنّ الكسرة أخف منها، بخلاف الضم التي هي أقوى الحركات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٩].

القراءات: «وما آتيتم» قرأ ابن كثير «أتيتم» بقصر الهمزة، وقرأ الباقون «آتيتم» بالمد، «ليربوا»، قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب بتاء مضمومة مع إسكان الواو، وقرأ الباقون بياء مفتوحة مع فتح الواو.

التوجيه: قال القرطبي: قرئ «آتيتم» بالمد، بمعنى أعطيتم، وقرئ بغير مدّ «أتيتم» بمعنى ما فعلتم من ربًا ليربو، كما تقول: «أتيت صوابًا وأتيت خطأً»، و أجمعوا على المد في قوله «وما آتيتم من زكاة».

قرئ «ليَربوَا»، «لتُربوا»، ووجه الأولى: بيان أنّ تعاملهم بالربا رجاء أن يربو المال ويزيد؛ لن يجدي، فالربا يمحق بركة المال، ووجه الثانية بيان أنّ الحرمة متعلقة بمن رابى عالمًا عامدًا، وأمّا مَنْ أخطأ في مسألةٍ من مسائل، ولم يكن مقصرًا في العلم الواجب، فليس كذلك، ولكن ليتب وليتخلص من المال الحرام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]

القراءات: «عما يشركون»، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب بياء الغيب على الالتفات، وقرأ الباقون بتاء الخطاب.

التوجيه: قراءة «يشركون» بالياء إعراض عن خطاب المشركين لشركهم وكفرهم، فهم لا يستحقون مخاطبة الله لهم، وخطابهم كما في قراءة التاء -تشركون- إنما هو خطاب غضبٍ وسخطٍ وليس خطاب رحمةٍ ورضًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

القراءات: «ليذيقهم» قرأ روح وقنبل بخلف عنه بنون العظمة، والباقون بالياء.

التوجيه: قرئ بنون العظمة «لنذيقهم» تفيد عظيم قدرة الله وعظيم عذابه وانتقامه ممّن عصاه، كما تفيد عظيم رحمته؛ حيث يبتلي العصاة حتى يرجعوا إليه وينيبوا، وقراءة الياء تفيد تعيين الفاعل، لذلك وهو الله سبحانه، فهو وحده الذي بيده البلاء، وليس بيد أحدٍ من خلقه، وفي ذلك تنبيهٌ للعباد، إذا وجد الفساد في أحوالهم أن يرجعوا، وينيبوا إلى الله، وأن يعلموا أنّ رفع ما نزل بهم إنما هو بيد الله وحده، كما أنّ نزوله إنما هو بيد الله وحده، ومن ساق الله البلاء على يديه من المخلوقات، إنما هو منفذ لما قدّره الله وأراده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ [الرُّوم: ٥٠]

القراءات: «آثار» قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر، بألف بعد الهمزة، وألف بعد الثاء، وقرأ الباقون بحذف الألفين على التوحيد.

التوجيه: قال القرطبي: قرئ بالجمع، وبالإفراد، لأنه مضاف إلى مفرد، ومن قرأ بالجمع، فلأنّ رحمة الله يجوز أن يراد بها الكثرة، كما قال تعالى ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[إبراهيم: ٣٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [الرُّوم: ٥٢]

القراءات: «ولا يسمع الصمّ الدعاء» قرأ ابن كثير بالياء المفتوحة وفتح الميم ورفع الصمّ وقرأ الباقون بالتاء المضمومة وكسر الميم ونصب الصمّ.

التوجيه: قرئ: «ولا تُسمع الصمُّ الدعاءَ» وقرئ «ولا يسمع الصمَّ الدعاءَ»، فكلمة «الدعاء» منصوبة في القراءة الأولى على أنها مفعول به، وفي القراءة الثانية على أنها مفعول به ثانٍ، والقراءتان متكاملتان لأنّ قراءة «لا تُسمع» ربما فهم منها أنّ الرسول ﷺ لا يُسمع الصمَّ، ولكنّ غيره من الدعاة قد يسمعونهم، فقراءة «لا يسمع» بالياء تدل على أنهم أصلًا لا يسمعون الدعوة إلى الخير - أي سماع الاستجابة والعمل - وهل من لايستجيب لدعوة سيد المرسلين ﷺ يستجيب لدعوة غيره من الدعاة إلّا أن يشاء الله؟

قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧]

القراءات: قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف «لا ينفع»، وقرأ الباقون «لا تنفع».

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ بالياء، وهو وجهٌ جائز، لأنّ «معذرة» مجازي التأنيث، ولوقوع الفصل بين الفعل وفاعله بالمفعول.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]

القراءات: قرأ رويس «ولا يَسْتَخِفَّنْك»، وقرأ الباقون «ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ».

التوجيه: قرئ بتخفيف النون وتشديدها، وهما وجهان، ولعل فائدة قراءة التخفيف بيان النهي عن أيّ شيء من القلق، والجزع والخفة، بسبب أقوال وأفعال المشركين، وقراءة التشديد تفيد النهي عن القلق والخفة الشديدين. ويحتمل أن يقال: قراءة التحريك [التشديد] تفيد النهي عن أن تحمله أقوال المشركين وأفعالهم على أن يتحرك يُقدِم على فعلٍ يُنسب فيه إلى الخفة وعدم التثبت، وقراءة السكون تفيد النهي عن أن يحمله ذلك على تصوراتٍ وظنونٍ لا تليق بأهل التثبت، وإن لم يُقدِم معها على الفعل.